الشفاعة

قال ﷺ: «اشفعوا تؤجروا».

المؤلف

الدكتور/ حبيب بن مصطفى بن محمد بن علي زين العابدين

العبيكان
Obeikan

obeikandl.com

ح شركة العبيكان للتعليم، ١٤٣٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العابدين، حبيب مصطفى

الشفاعة./ حبيب مصطفى العابدين.- الرياض، ١٤٣٦هـ

٥٤ ص؛ ١٢,٥ × ١٨ سم.

ردمك: ١-٨٠٤-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- الشفاعة ٢- العقيدة الإسلامية أ. العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٣٦ / ٧٣٠٧

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

الناشر العبيكان للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ فاكس: ٤٨٠٨٠٩٥ ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

موقعنا على الإنترنت

www.obeikanpublishing.com

متجر العبيكان على أبل

http://itunes.apple.com/sa/app/obeikan-store

امتياز التوزيع شركة مكتبة العبيكان

المملكة العربية السعودية - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع شارع العروبة

هاتف: ٤١٦٠٠١٨ / ٤٦٥٤٤٢٤ - فاكس: ٤٦٥٠١٢٩ ص. ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

جميع الحقوق محفوظة للناشر. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

obeikandl.com

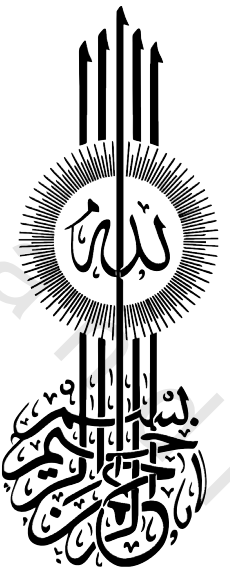

obeikandl.com

obeikandl.com

الإهداء

- إلى الذين ييسرون على إخوانهم وأخواتهم المسلمين ويكونون عونًا لهم
- إلى الذين لا يشفعون في قضاء حوائج إخوانهم المسلمين وأخواتهم المسلمات.
- إلى الذين يستنكفون عن الشفاعة الحسنة لإخوانهم المسلمين والمسلمات

نذكرهم بقول الله سبحانه وتعالى... أعز قائل في الوجود كله سبحانه:

﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء:٨٥].

إذا كنت سببًا في شفاعة حسنة أدت إلى خير، وإلى هدى، وإلى تقى، وإلى صلاح، وإلى تحقيق مصالح المسلمين والمسلمات، والتخفيف عنهم، وتفريج كرباتهم... فلك من الله الأجر والثواب... وإذا كنت سببًا في شفاعة سيئة... أدت إلى عكس ما ذكر... فعليك منها وزر وعقاب من الله الشاهد سبحانه وتعالى، المحيط بكل ما يجري... والقادر على أن يجازي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته... وهذا مما يؤيد ما ذكرناه في كتابنا «مفهوم العبادة الشامل» بأن كل عمل صالح يُبتغى به وجه الله هو من العبادة...

يقول الإمام الشافعي رحمه الله:

الناس بالناس مادام الحياء بهم

والسعد لا شك تارات وهبات

وأفضل الناس ما بين الورى رجلٌ

تُقضى على يده للناس حاجات

لا تمنعن يد المعروف عن أحد
ما دمت مقتدرًا فالسعد تارات
واشكر فضائل صنع الله إذا جُعلت
إليك لالك عند الناس حاجات
قد مات قوم وما ماتت مكارمهم
وعاش قوم وهم فى الناس أموات

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل حياتنا كلها فيما يحبه ويرضاه، وأن يجعلها بعيدة كل البعد عن كل ما يغضبه ويُسخطه علينا، إنه وحده القادر على كل شيء، والمعين ولا معين سواه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وعلى إخوانه النبيين والمرسلين، وآله وأصحابه، وأزواجه وذرياته أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

obeikandl.com

تقديم

معالي الشيخ العلامة الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد إمام وخطيب المسجد الحرام

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإنَّ النِتاج الإيجابيَّ للمجتمعات التي تَنشُد الرقيَّ والسموَّ بطاقاتها وثروَاتها مرهونٌ بمدَى تحقيقها لإعطاء الأولويّة للتفوُّق والامتياز وإتاحة الفرص لذوي الكفاءات؛ لينالوا ما يستحقون من احتفاء وعناية.

وإنَّ مِن سمات المجتمع الرشيدِ الواعي انتشارَ العدل والمساواة واجتناب الظلم والأنانيّة والأثرة. وقد راعى الإسلام مبدَأ الأحقّيَّة والكفاءَةِ، وقدَّم أصحابها على من دونهم تقديرًا لتفوُّقهم واعترافًا بأهليّتهم، فقد جاء في الصحيحِ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «يؤمُّ القوم أقرَؤُهم لكتابِ الله». وصحَّ من حديث عبدالله بن

زيـد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصّة مشـروعيّة الأذان أن النبيَّ ﷺ قال له: «**ألقِـه على بلال؛ فإنّه أندى منـك صوتًا**». وقد كانَ صلى الله عليه وسـلم يمتحِن الصحابةَ فـي القوّةِ والرمي حالَ تجهيز الجيش للغزوِ، فيقـدِّم الكفءَ القويَّ، ولذلك ردَّ رافع بن خديج يومَ بدر لعدم كمال أهليته بعد.

إذًا فالإسـلام جعَـل للكفـاءةِ والأهليـة مـن المحلِّ والعنايـة والاعتبار ما يكفل به لـكلِّ مجتمع واعٍ أن يحيَا حياةَ الجدِّ والاسـتقرار والتوازُن في الاحتياج والإنتاج؛ ولأجـل ذلك فـإنَّ المجتمعَ الذي يسـودُه احتـرامُ بعضه بعضًـا وتقديـرُ أصحابِ الكفـاءات والاعتبـار بالأولويّة للأهليـة وذوي الامتيـاز ليُعَـدّ مجتمعًـا متكامِـلَ الرؤى متحِـدَ المضاميـن، قد بنَى أسُسَـه على شِـرعةٍ من الحقّ والعدل والالتزام بالقِيَـم والمُثُل المرعية وفي ضبط هذا المسـار يأتي الحديث عن الشفاعة وأثرها في ضبط حق كل ذي حق، ومن هنا فإن للشـفاعة وجهين هما: الأول:

الشـفاعة الحسـنة: وهـي مـا كانـت لوجـه الله سـبحانه وتعالـى، وكانت من باب الإرفاق، ولم يكن فيها حرمانُ من هو أولى وأحقّ من جهة الكفاءة والقدرة على تحمّل الأعبـاء، أو النهوض بأعمـال الأمر المشـفوعِ فيه، على أحسـنِ وجه، فهذه شفاعة محمودةٌ، حضَّ عليها الشارع الحكيم، كما في قوله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء:٨٥].

يقول القرطبي رحمه الله في تفسـير هذه الآية: «قال مجاهد، والحسن، وابن زيد، وغيرهم: هي في شفاعات الناس بينهم في قضاء حوائجهم، فمن يشفع شفاعة لينفع فله نصيب. وقيل: الشفاعة الحسنة في البر والطاعة، فمن شفع شفاعة حسنة ليصلح بين اثنين استوجب الأجر».

وقـال ابـن عبـاس رضي الله عنهما: «**الشـفاعة الحسـنة: هـي الإصـلاح بيـن النـاس، وقيـل: هو فـي كل الشـفاعات، فالشـفاعة الحسـنة: هـي أن يقـول قـولاً حسـنًا؛ ينـال به**

الخير، والشـفاعة السيئة: هي أن يقول قولاً قبيحًا؛ يلحق به سوءًا».

والشـفاعة الحسـنة هي المقصودة في السنة النبوية، كمـا في قولِـه ﷺ: **«اشـفَعوا تؤجَـروا»**. كما تـدل عليها عمـوم الدعوة للنفع بين المسـلمين وقضـاء حوائجهم، كمـا فـي قوله ﷺ: **«والله في عونِ العبـد ما كان العبد في عون أخيه»**.

وأمـا الثانـي: الشَّـفَاعَةُ السَّـيِّئَةُ: وهِـيَ أَنْ يَشْـفَعَ فِي إِسْقَاطِ حَدٍّ بَعْدَ بُلُوغِهِ السُّلْطَانَ، أَوْ هَضْمِ حَقٍّ، أَوْ إِعْطَائِهِ لِغَيْرِ مُسْـتَحِقِّهِ، فهـذا مَنْهِيٌّ عَنْـهُ، لأَنَّهُ تَعَـاوُنٌ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُـدْوَانِ. قَـال تَعَالَـى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائـدة: ٢]. وَلِلشَّـفِيعِ فِـي هَذَا كِفْـلٌ مِنَ الإِثْـمِ. قَال تَعَالَـى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ الآيَة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الشفاعة السيئة: هي المشي بالنميمة بين الناس».

قال القرطبي: «ومن يشفع ليضر فله الكفل، والكفل الوزر والإثم، وقيل: الشفاعة السيئة في المعاصي، ومن سعى بالنميمة والغيبة أثم».

وقيل: «الشفاعة السيئة: هي أن يقول قولاً قبيحًا؛ يلحق به سوءًا».

وَالضَّابِطُ الْعَامُّ: أَنَّ الشَّفَاعَةَ الْحَسَنَةَ هِيَ: مَا كَانَتْ فِيمَا اسْتَحْسَنَهُ الشَّرْعُ، وَالسَّيِّئَةَ فِيمَا كَرِهَهُ وَحَرَّمَهُ.

وقد أحسن أخي الفاضل معالي الدكتور المهندس: حبيب بن مصطفى زين العابدين صنعًا في هذا المدون المختصر الجامع للنصوص والآثار وأقوال السلف حول بيان الشفاعة، وتسليط الضوء على أثرها في بناء العلاقات الاجتماعية النافعة، إذا سلك بها مسلك

العدل وعدم هضم حق المستحق، وهذا النوع من البيان لجوانب النفع المحمود في شريعتنا الخالدة هو من باب بيان الحق للخلق.

سائلا المولى أن يبارك في هذا الجهد المبارك، وكما أسأله تعالى أن يجعلنا ممن ينشر الشرع، وينفع الخلق على الوجه الذي يرضيه عنا.

د.صالح بن عبدالله بن حميد

obeikandl.com

تقديم

لفضيلة الشيخ الفاضل والأديب العلامة أستاذ ورئيس قسم السنة وعلومها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ورئيس تحرير مجلة (حضارة الإسلام) سابقًا: الأستاذ الدكتور محمد أديب الصالح.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد بن عبد الله، معلم الناس الخير، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد..

فإن قضية الشفاعة لتبدو في حقبتنا هذه من أهم القضايا وأدقها وأجلها أثرًا في المجتمع، إذ تشعبت المصالح وازدادت العلاقات بين البشر تعقيدًا وصعوبة، وبخاصة ماكان بين حاكم ومحكوم، أو رب عمل ومستخدم أو مدير ومرؤوسين... إلى ما هنالك من صور العلاقات الإنسانية.

ولقد حث ديننا الحنيف على الشفاعة الحسنة، وحذَّر من الشفاعة السيئة، فقال تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ

شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا ﴾ [النساء:٨٥]..

وجاء في صحيح الخبر عند الإمام مسلم: (٢٧٣٢) عن رسول الله ﷺ قال: «**من دعا لأخيه بظهر الغيب، قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل**».

ومن هنا حرص المؤلف – جزاه الله خيرًا – على بيان معنى الشفاعة وأنواعها، مؤيدًا كلامه بشواهد غير قليلة – قياسًا إلى حجم العمل – من القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال السلف الصالح.

ثم توقف عند الشفاعة السيئة وأثرها، وهذا من الضرورة بمكان، لبيان الفارق الشاسع بين شفاعتين، تكون إحداهما رفقًا بالمشفوع له وعونًا، وتكون الأخرى مسيئة مؤذية، تمنح من لا يستحق ما لا يستحق!!

ويؤكد المؤلف حاجتنا الماسة إلى الشفاعة الحسنة، التي لا حدود لمجالاتها وطرقها بين الخلق المتفاوتين

قوة وذكاء وثراء وفصاحة ونسبًا... فيقول في فقرة جميلة أنقلها كما هي: *«ولم يجعل الإسلام هذه العبادة موقوتة بزمان أو مرهونة بمكان، كما لم يجعل هذه العبادة أو الضريبة مالية فينفرد بها الأغنياء، ولا بدنية فيختص بها الأقوياء، ولا ثقافية فيتميز بها المتعلمون، ولكنه جعلها ضريبة إنسانية عامة، يؤديها كل إنسان على قدر طاقته، ويشترك فيها الفقير والغني، والضعيف والقوي، والأمي والمتعلم»*.

نسأل الله تعالى أن يتقبل عمل الدكتور حبيب، ويكتب له القبول بين القراء الكرام، الذين يحتاجون التذكرة والنصح – مثل كل المسلمين – وبخاصة من كان منهم على ثغر من ثغور المسلمين جلّ أو دقّ.

والله الموفق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

أ.د. محمد أديب الصالح

obeikandl.com

تقديم

لفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور العلامة محمد بن لطفي الصباغ أستاذ علوم القرآن والحديث والتفسير بكلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم المرسلين، رسول الله إلى الناس أجمعين، وعلى آله الطيبين، وأصحابه المكرمين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد طلب مني الأخ الكريم الأستاذ الدكتور حبيب زين العابدين أن أكتب كلمة موجزة تكون تقديمًا لرسالته التي كتبها عن الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة، التي فسر بها الآية الكريمة: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء:٨٥].

والمؤلف حفظه الله من كبار المهندسين المدنيين في المملكة، وهو أستاذ جامعي، ويقوم الآن بعمل جليل في خدمة المشاعر المقدسة، وفي ذلك خدمة للحجاج، جزاه الله وجزى المسؤولين عن هذا العمل العظيم الخير الجزيل، وفيه تيسير رمي الجمرات والتنقل بين هذه المشاعر.

وموضوع الشفاعة موضوع مهم جدًّا في الحياة الاجتماعية، وقد دلت على أهميته الآية الكريمة والأحاديث النبوية الكثيرة، ومنها حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه طالب حاجة، أقبل على جلسائه فقال: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما أحب**» (البخاري: ٦٠٢٧) و(مسلم: ٢٦٢٧).

وإني أدعو كل صاحب جاه وكلمة مسموعة من المسلمين إلى المسارعة إلى هذه الفضيلة، التي أمر بها رسول الله ﷺ.

وأدعو كل المثقفين المسلمين إلى أن يوثقوا صلتهم بكتاب الله، ويتدبروا آياته، كما فعل المؤلف الفاضل، ويكثروا من تلاوة القرآن الكريم وتدبره.

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقوله جل جلاله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، وقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

وصلى الله على محمد وآله، والحمد لله رب العالمين.

أ.د. محمد بن لطفي الصباغ

obeikandl.com

مقدمة

رغب إليَّ أحد الأخوة الكرام أن أكتب كتَيبًا عن موضوع الشفاعة... لأن كثيرًا من المسلمين في هذه الأيام ابتعدوا عن القيام بها... بل نرى الكثير منهم يعسرون أمور إخوانهم المسلمين والمسلمات، ولا يساعدونهم على قضاء حاجاتهم... وأين هم من التأسي برسول الله ﷺ، الذي كان يحرص كل الحرص على قضاء حوائج المسلمين، ولا أدل على ذلك مما رواه البخاري(٦٠٧٢)عن أنس رضي الله عنه قال: «**إِنْ كَانَت الْأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ**»، ليقضي لها حاجتها.

وقوله ﷺ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ، وَلا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ،**

وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

(البخاري:٢٤٤٢) و(مسلم: ٢٥٨٠).

وما أكد عليه ﷺ من عظم ثواب من يقضي حاجة لأخيه: «لأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ شَهْرًا فِي مَسْجِدِي هَذَا، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَقْضِيَهَا، ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامُ» (الطبراني في المعجم الصغير: ٨٦١).

وكذلك في الحديث المتفق عليه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «على كل مسلم صدقة». قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «فيعمل بيديه، فينفع نفسه ويتصدق»، قالوا: فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: «فيعين ذا الحاجة الملهوف»، قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: «فليأمر بالخير

أو قال بالمعروف»، قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: **«فليمسك عن الشر، فإنه له صدقة»** (البخاري:٦٠٢٢)، (ومسلم: ١٠٠٨).

فكم من المسلمين والمسلمات اليوم لا يمسك عن الشر، بل قد يقف عائقًا أمام أي خير يسديه مسلم لإخوانه المسلمين والمسلمات.

لذلك نود أن نوضح في هذا الكتيب أهمية الشفاعة الحسنة... وما تجلب لصاحبها في الدنيا... وربما بعد الممات، خاصة إذا كان أثرها مثمرًا ومستمرًّا بعد موته... وأن الشفاعة السيئة تجر على صاحبها الآثار السيئة في الدنيا، وربما في البرزخ، ويوم المعاد إلى الله إذا كانت آثارها السيئة ممتدة ومستمرة. ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء:٨٥].

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعافينا جميعًا وذرياتنا وذريات ذرياتنا من كل شفاعة سيئة... وأن يوفقنا للمسارعة في كل شفاعة حسنة لأخ أو أخت في قضاء حاجة لهم، نبتغي بها وجه الله سبحانه وتعالى ورضاه والجنة، والله الموفق، والهادي إلى سواء السبيل.

د. حبيب بن مصطفى زين العابدين

obeikandl.com

٢

بعض ما ورد في معنى الشفاعة

﴿ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴾ [النساء:٨٥].

هذه الآية وإن كانت واردة على سبيل التعميم في بيان جزاء كل شفاعة حسنة أو كل شفاعة سيئة، إلا أنها تذييل وتعليل للآية التي قبلها، لقوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴾ [النساء: ٨٤].

وهو بشارة للرسول ﷺ بأن جهاد المجاهدين بدعوته يناله منه نصيب عظيم الأجر، فإن تحريضه إياهم وساطة لهم في خيرات عظيمة، ويُعلم من عموم الآية:

obeikandl.com

أن التحريض على القتال في سبيل الله من الشفاعة الحسنة... وأن المثبطين للناس عن الجهاد من قبيل الشفاعة السيئة.

فجاءت هذه الآية إيذانًا للفريقين بحالتهما، والمقصود من ذلك الترغيب في الدعوة إلى الخير، والترهيب من ضده، كما جاء في تفسير ابن عاشور، وفي تفسير ابن كثير: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾، أي من سعى في أمر يترتب عليه خير، كان له نصيب من ذلك ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ أي يكون عليه وزر من ذلك الأمر، الذي ترتب على سعيه ونيته.

والنصيب: الحظ من كل شيء خيرًا كان أو شرًّا...

والكفل: الوزر والإثم، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾«حفيظًا، شهيدًا، حسيبًا، قديرًا، رازقًا».

من أقوال بعض العلماء في تعريف الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة.

- يقول الإمام القرطبي: الشفاعة: مأخوذة من الشفع، وهو الزوج في العدد، ضد الوتر، ومنه الشفيع لأنه يصير مع صاحب الحاجة شفعًا في الأجر
- ويقول ابن عباس رضي الله عنهما: الشفاعة الحسنة هي الإصلاح بين الناس، والشفاعة السيئة هي المشي بالنميمة بين الناس
- ويقول الحسن: الشفاعة الحسنة ما يجوز في الدين، والسيئة ما لا يجوز فيه
- ويقول ابن عاشور: الشفاعة الحسنة هي الواسطة في إيصال خير أو دفع شر، سواءً كانت بطلب المنتفع أم لا.
- ويقول الشيخ محمد ابن عثيمين: الشفاعة الحسنة هي التوسط للغير، لجلب منفعة أو دفع مضرة.

obeikandl.com

- ويقول الإمام الشوكاني: الشفاعة الحسنة هي في البر والطاعة، والسيئة في المعاصي.
- وقيل: الشفاعة الحسنة هي حُسن القول في الناس يُنال به الثواب، والسيئة هي الغيبة والنميمية وإساءة القول في الناس ينال به الشر...
- ومن أقوال الإمام الشافعي: الشفاعات زكاة المروءات.
- **الشفاعة المحرمة**: هي الشفاعة لشخص وجب عليه الحد بعد أن وصل إلى الإمام، فهذه شفاعة محرمة، «شفاعة أسامة إلى النبي ﷺ في المرأة المخزومية التي سرقت»، وكذلك خطبة الرجل على خطبة أخيه... والشفاعة في المحرم تعاون على الإثم والعدوان.
- **تعريف مختصر وشامل للشفاعة:**

قال الزمخشري صاحب الكشاف: الشفاعة الحسنة، هي التي روعي بها حق مسلم... أودُفع بها عنه شر...

أو جُلب إليه خير... وابتُغي بها وجه الله... ولم تؤخذ عليها رشـوة «هديـة»... وكانت في أمر جائز... لا في حـد من حدود اللـه... ولا في حق من الحقوق «يعني الواجبة عليه»... والسيئة ما كانت بخلاف ذلك.

obeikandl.com

obeikandl.com

بعض ما ورد من آيات وأحاديث في الحض على الشفاعة وأعمال الخير وقضاء حوائج المسلمين

لقد جاء في القرآن الكريم الجليل العظيم المجيد آيات عديدة تحث على الشفاعة الحسنة، لا تخفى على من قرأ القرآن بوعي وتدبر، كما وردت بشأنها أحاديث كثيرة تحرض عليها وتبين أنواعها وأشكالها.

إن كل عمل اجتماعي نافع يعده الإسلام عبادة... ما دام قصد فاعله الخير ابتغاء وجه الله... أن تمسح دمعة محزون، أو تخفف كربة مكروب، أو تضمد جرح مجروح، أو تعين معوقًا، أو ذا حاجة، أو تشد أزر مظلوم، أو تقيل عثرة مغلوب على أمره، أو تشفق على كل ذي كبد رطبة، وإصلاح ذات البين... كل ذلك من الشفاعة الحسنة، التي تُبقي المجتمع المسلم متينًا ومتراصًّا ومتعاونًا ومتحابًّا.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٤-١١٥].

أناس كثيرون تَرَكَتِ الكلمة الطيبة أثرًا طيبًا في أخلاقهم، أو في استقامتهم، أو جعلتهم يتوبون من ذنوبهم، أو يقلعون عنها، وبالنميمة والغيبة يتفتت المجتمع، وبالصلح يتماسك.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

فالنفس التي يعتلجها شيء من الضغينة والحسد، والتي تستمتع بالمعصية، وتركن إلى الذين ظلموا،

وتنسجم في الجلوس معهم ساعات طويلة، إنما هي نفس مريضة، تحتاج إلى إصلاح بالتوبة والإنابة والإقبال على الله عز وجل... كما أن إصلاح كل علاقة بينك وبين الناس، سواء كانوا من أولي القربى أو الجيران أو الرؤساء والمرؤوسين في العمل واجب تؤجر على فعله... كما أن إصلاح العلاقة بين اثنين كي تسود المحبة والمودة والصدق في المجتمع هي من أصول الدين ومقوماته.

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَسْأَلُنِي الشَّيْءَ فَأَمْنَعُهُ، كَيْ تَشْفَعُوا فَتُؤْجَرُوا»

(النسائي في السنن الكبرى:٢٣٤٩).

ما أرحم رسولنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وعنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ خَلْقًا، لِحَوَائِجِ النَّاسِ يَفْزَعُ

إِلَيْهِمُ النَّاسُ فِي حَوَائِجِهِمْ، أُولَئِكَ الْآمِنُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ» (الطبراني في الكبير: ١٣٣٣٤).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَعَى لأَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ قُضِيَتْ لَهُ، أَوْ لَمْ تُقْضَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَكُتِبَ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ» (فوائد ابن شجاع: ٣١).

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْعِبَادِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟، قَالَ: «أَنْفَعُ النَّاسِ لِلنَّاسِ»، قِيلَ: فَأَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟، قَالَ: «إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى قَلْبِ الْمُؤْمِنِ»، قِيلَ: وَمَا سُرُورُ الْمُؤْمِنِ؟، قَالَ: «إِشْبَاعُ جَوْعَتِهِ، وَتَنْفِيسُ كُرْبَتِهِ، وَقَضَاءُ دَيْنِهِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَتِهِ، كَانَ كَصِيَامِ شَهْرٍ وَاعْتِكَافِهِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ مَظْلُومٍ يُعِينُهُ ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزِلُّ الأَقْدَامُ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَإِنَّ الْخُلُقَ السَّيِّئَ يُفْسِدُ الأَعْمَالَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ» (حلية الأولياء لأبي نعيم).

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاةِ وَالصَّدَقَةِ»، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «صَلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، قَالَ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ»، وَزَادَ فِيهِ: «لَا أَقُولُ: الْحَالِقَةُ الَّتِي تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ» (الترمذي:٢٥٠٩).

ويقول النبي ﷺ عن ربه عز وجل: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعِزَّةِ؟ فَيَقُولُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، وَلَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ وَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي. فَيَقُولُ: كَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعِزَّةِ؟ فَيَقُولُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا اسْتَطْعَمَكَ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ وَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، وَكَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعِزَّةِ؟

فَيَقُولُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا اسْتَسْقَاكَ فَلَمْ تَسْقِهِ، وَلَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟» (مسلم: ٢٥٦٩).

ومن حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ». قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدِيهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ». قَالُوا: أَفَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ أَوْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ». قَالُوا: أَفَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ». أَوْ قَالَ: «بِالْخَيْرِ». قَالُوا: أَفَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ» (البخاري: ٦٠٢٢)، (مسلم: ١٠٠٨).

عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عليه صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وتُعين الرَّجُلَ في دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عليها أو تَرْفَعُ لَهُ متَاعَهُ صَدَقَةٌ، والْكَلِمةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ،

وبـكُلِّ خَطْوَةٍ تَمشِـيها إلى الصَّلاةِ صَدَقَـةٌ، وتُمِيطُ الأَذَى عنِ الطَّرِيق صَدَقَةٌ» (البخاري:٢٩٨٩)، و(مسلم:١٠٠٩).

بمثل هذه الروح يستحث نبي الإسلام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام كل مسلم، وإن كان محدود الاستطاعة، أن يؤدي هذه العبادة، أو المعونة الاجتماعية.

ولم يجعل الإسلام هذه العبادة موقوتة بزمان أو مرهونة بمكان، كما لم يجعل هذه العبادة أو الضريبة مالية فينفرد بها الأغنياء، ولا بدنية فيختص بها الأقوياء، ولا ثقافية فيتميز بها المتعلمون، ولكنه جعلها ضريبة إنسانية عامة، يؤديها كل إنسان على قدر طاقته، ويشترك فيها الفقير والغني، والضعيف والقوي، والأمي والمتعلم... والأهم أن يبتعد كل البعد عما يؤذي الناس، ويكف شره عنهم، فيدخل الجنة.

وإننا لنقرأ أحاديث النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم في هذا الباب، فنرى أنه ﷺ لم يكتف بفرض هذه العبادة العامة على الإنسان، من حيث هو إنسان فحسب، بل يشتد في طلبها، فيفرضها على كل ميسم من مياسمه، أو كل مفصل من مفاصله.

وقد وردت أحاديث عديدة تجعل تبسم المرء في وجه أخيه صدقة، وإسماع الأصم، وهداية الأعمى، وإرشاد الحيران، ودلالة المستدل على حاجته، والسعي بشدة الساقين مع اللهفان المستغيث، والحمل بشدة الذراعين مع الضعيف، وما يدور في هذا الفلك من الأعمال، عده رسول الإسلام ﷺ عبادة كريمة، وصدقة طيبة، وشفاعة حسنة.

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا جَاءَنِي طَالِبُ حَاجَةٍ فَاشْفَعُوا لَهُ لِكَيْ

تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا يَشَاءُ» (البخاري: ١٤٣٢) و(مسلم: ٢٦٢٧).

وفي الباب أحاديث وآيات كثيرة كلها توضح أنك إذا سعيت في قضاء حاجة لأخيك أو قدمت له معروفًا.. أو عدته إذا كان مريضًا أو زرته في الله، فلك في ذلك كله ثواب من عند الله لا يعدله ثواب... وإن تبتسم في وجهه صدقة... وإننا نرى كثيرًا من المسلمين في هذه الأيام يعبسون في وجوه إخوانهم المسلمين دون سبب، كما أشار الشيخ صالح بن حميد في إحدى خطب العيد في المسجد الحرام.

obeikandl.com

الشفاعة السيئة وأثرها في المجتمع

لو رجعنا إلى أقوال العلماء في الشفاعة لوجدنا من أمثال الشفاعة السيئة:

- المشي بالغيبة والنميمة بين الناس.
- كل ما يؤدي إلى معصية أو مفسدة أو ضرر.
- أي شفاعة تؤدي إلى فتنة أو شقاق أو إفساد ذات البين تعد شفاعة سيئة.
- كل ما يؤدي إلى التعاون على الإثم والعدوان وما يغضب الله ويسخطه.

ويمكن اختصار ذلك في أن كل ما يؤدي إلى شر أو ضرر أو مفسدة أو سوء للمسلمين أو بينهم هو من الشفاعة السيئة.

فأنت أيها المسلم إذا دللت على خير كتب لك أجر كأجرِ فاعله، وإذا دللت على سوء تحملت وزرًا كوزر فاعله.

obeikandl.com

فاحرص أن تقدم الخير لإخوانك المسلمين، وتقضي لهم حوائجهم، وتيسر لهم حياتهم ومعاملاتهم، وتقوم بالإصلاح بينهم، وتبتعد عن أي أذى أو ضرر قد يلحق بهم، أو يعسر عليهم أمورهم، وتتعاون معهم على كل ما فيه مرضاة لله ولرسوله ﷺ، وفي التفريج عن مكروبهم، والتيسير على معسرهم، وحقن دمائهم.

ومن الأحاديث الواردة في هذه المعاني:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ نَفَّسَ عَنْ أَخِيهِ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَادَامَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» (مسلم: ٢٦٩٩).

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ صَدَقَةُ اللِّسَانِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا صَدَقَةُ اللِّسَانِ؟ قَالَ: «الشَّفَاعَةُ تَفُكُّ بِهَا الْأَسِيرَ، وَتَحْقِنُ بِهَا الدَّمَ،

وَتَجُرُّ بِهَا الْمَعْرُوفَ وَالْإِحْسَانَ إِلَى أَخِيكَ، وَتَدْفَعُ عَنْهُ الْكَرِيهَةَ» (الطبراني: ٦٩٦٢).

على عكس ما يفعله كثير من المسلمين اليوم... يمارسون السرعة العالية بالسيارات وغيرها، ولا يلتزمون بأنظمة المرور، مما يوقع في المكروه وربما يسيل الدم.. إلخ.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَضَعُ اللَّهُ الرَّحْمَةَ إِلا عَلَى رَحِيمٍ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كُلُّنَا رَحِيمٌ!! قَالَ: «لَيْسَ الَّذِي يَرْحَمُ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ خَاصَّةً، وَلَكِنِ الَّذِي يَرْحَمُ الْمُسْلِمِينَ» (الطبراني في مسند الشاميين ٢٣٥٤).

وعَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاةِ وَالصَّدَقَةِ»، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «صَلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، قَالَ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ» (الترمذي: ٢٥٠٩).

ومن آثار الشفاعة السيئة على المجتمع أنها تجلب الحقد والحسد وتؤدي إلى التنافر والتناحر والبغضاء، وبها يتفتت المجتمع وبالشفاعة الحسنة يصلح ويتماسك.

لقد تقلص الدين عند الناس في هذه الأيام، حتى أصبح ركعات جوفاء، يؤدونها دون علم ودون فهم، أما أن يكون الدين يغطي كل حركات الإنسان فهذا ما فهمه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. المسلم يجب أن تحبه، لأنه متقيد بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أما أن تفهم الدين صلاة وصيامًا وحركات جوفاء، وتنسى أنك مأمور بالاستقامة بلسانك، وبقلبك، وبجوارحك، هذا كله من ضعف فهم الإسلام في آخر الزمان.

قال عمر رضي الله عنه: «**لا يَغُرَّنَّكَ صَلاةُ رَجُلٍ وَلا صِيَامُهُ، مَنْ شَاءَ صَامَ، وَمَنْ شَاءَ صَلَّى، وَلَكِنْ لا دِينَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ**» (السنن الكبرى للبيهقي: ١٣٠٦٩).

فقيمتك بوصفك مسلمًا عند الله، بانضباطك وفق أوامر الله ودينه وسنة رسوله ﷺ، لا بما تؤديه من عبادات جوفاء

نسأل الله أن يجيرنا من الشفاعات السيئة، ويعيننا على كل شفاعة حسنة، ابتغاء وجهه الكريم سبحانه وتعالى.

obeikandl.com

obeikandl.com

الحاجة الماسة في زماننا للشفاعة الحسنة والابتعاد عن الشفاعة السيئة

عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «...إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ» (البخاري: ١٢٨٤ ومسلم: ٩٢٣).

وعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (مسلم:٢٦٩٩).

المطلوب منا نحن المسلمين كافة أن نعين الناس على قضاء حوائجهم فنجد العون من الله سبحانه وتعالى... لا أن نعسر عليهم... فعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ نَفَّسَ عَنْ أَخِيهِ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَادَامَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ». (مسلم: ٢٥٩٠).

علينا أن نرفق بإخواننا المسلمين والمسلمات، لا أن نشق عليهم اتباعًا لأوامر رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: «اللَّهُمَّ مَنْ رَفَقَ بِأُمَّتِي فَارْفُقْ بِهِ، وَمَنْ شَقَّ عَلَيهم فَشُقَّ عَلَيْهِ» (أحمد: ٢٤٣٣٧).

وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ» (مسلم: ٢٥٩٣).

وقال ﷺ: «مَنْ يُحْرَمُ الرِّفْقَ يُحْرَمُ الْخَيْرَ كُلَّهُ» (مسلم: ٢٥٩٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا عَثْرَتَهُ، أَقَالَهُ اللَّهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (ابن ماجه: ٢١٩٩).

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جُوعٍ، أَطْعَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَقَى مُؤْمِنًا عَلَى ظَمَإٍ، سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ كَسَا مُؤْمِنًا عَلَى عُرْيٍ كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خُضْرِ الْجَنَّةِ» (الترمذي: ٢٤٤٩).

فكما تكون لإخوانك المسلمين يكون الله لك... فالحذرَ الحذرَ من أن تشق أو تعسر على إخوانك المسلمين والمسلمات، أو تقف حجر عثرة في أمر خير لهم، بل الواجب علينا جميعًا أن نسعى لكل خير لهم، ونسهل أمورهم، ونقضي لهم حاجاتهم الطيبة.

قال ابن القيم رحمه الله:

«إنّ الله كريم يحب الكريم من عباده، وعالم يحب العلماء، وقادر يحب الشجعان، وجميل يحب الجمال، وهو سبحانه وتعالى رحيم يحب الرحماء، وإنما يرحم من عباده الرحماء، وهو ستير يحب من يستر على عباده، وعفو يحب من يعفو عنهم، وغفور يحب من يغفر لهم، ولطيف يحب اللطيف من عباده، ويبغض الفظ الغليظ القاسي الجعظري (المتكبر الجافي عن الموعظة) الجواظ (المختال في مشيه الغليظ الفظ)، ورفيق يحب الرفق، وحليم يحب الحلم، وبر يحب البر وأهله، وعدل

يحب العدل، وقابل المعاذير يحب من يقبل معاذير عباده» (الوابل الصيب من الكلم الطيب ج:١، ص: ٣٥).

فهل نسعى لنكون من أهل هذه الصفات لنكسب محبة الله سبحانه وتعالى.

ويجازي الله عبده بحسب هذه الصفات فيه وجودًا وعدمًا، فمن عفا عفا الله عنه، ومن غفر غفر الله له، ومن سامح سامحه، ومن حاقق حاققه، ومن رفق بعباده رفق به، ومن رحم خلقه رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن صفح عنهم صفح عنه، ومن تتبع عوراتهم تتبع عورته، ومن هتكهم هتكه وفضحه، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن شق عليهم شاق الله تعالى به، ومن مكر بهم مكر به، ومن خادعهم خادعه.

ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة، فالله تعالى لعبده على حسب

مايكون العبد لخلقه. فكما تدين تدان، وكن كيفما شئت فإن الله تعالى يكون لك كما تكون أنت له ولعباده.

فلنحرص جميعًا أيها الإخوة وفقنا الله تعالى لنكون في نفع إخواننا المسلمين والمسلمات، وأن نحسن إليهم... فالله سبحانه وتعالى يحب المحسنين، ولنسارع في الشفاعة الحسنة لهم... ولنبتعد كل البعد عن كل شفاعة سيئة، وعن كل إساءة لمسلم أومسلمة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.

obeikandl.com

obeikandl.com

التدبر في عاقبة الشفاعة قبل إنفاذها

﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء:٨٥].

تعد هذه الآية الكريمة من أدق الآيات التي تحدد الطريق الصحيح في التعاملات الاجتماعية (الشفاعة). فأنت إذا شفعت لتجمع بين اثنين على خير.. فلك في هذا الجمع نصيب وافر من الأجر، وإن كان الجمع انتهى إلى شر، فهناك وزر يتحمله من كان سببًا في هذا الجمع.

ففكر أخي مليًّا قبل أن تُقدم على أي شفاعة ما، وقبل أن تتحرك، أو تُوظف، أو تُعين، أو تفصل، أو تشير، أو تنصح، أو تنشئ أي علاقة... انتبه ألا تكون سببًا في شفاعة تفضي إلى مفسدة، أو مخالفة، أو معصية، أو فتنة، أو شقاق، أو مضرة، أو غيرها، فعليك وزرها، وما يترتب عليها من مفاسد.

فلو شفعت لشاب فاسد ليتزوج فتاة طيبة، فعليك من هذا الزواج وما ينتج عنه من فساد كل وزر.

فمن أدق الموازين وأروعها في الإسلام، أنك إذا شفعت في خير كتب لك أجر كأجر فاعله، وإذا شفعت بسوء تحملت وزرًا كوزر فاعله، فاحرص أن تعمل عملًا صالحًا، تستثمر منفعته، ويتجدد ثوابه لك حتى بعد الموت.. فالرسول ﷺ يقول «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثٍ: مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (مسلم: ١٦٣١).

وقد تبذل قصارى جهدك من أجل أن تنفع أخاك، فإن لم تستطع فذلك لحكمة أرادها الله عز وجل... فأنت عليك أن تفعل، وليس عليك إدراك النجاح... ولك الأجر على كل حال.

الخاتمة

أحب أن أختم هذه الرسالة بنصيحة لي ولكل مسلم ومسلمة... أن الذي يسعى في الشفاعة الحسنة، ويسابق إليها، ويستمر عليها، سيشعر بقرب من الله، وستدوم عليه نعم الله، ونسأل الله أن يحسن لنا الخاتمة أجمعين.

النبي ﷺ يأمرنا فيقول «**اشفعوا تؤجروا**» (البخاري: ١٤٣٢)، ومسلم: ٢٦٢٧).

فحينما يخدم كل إنسان أخاه المسلم، عندئذ يصبح المجتمع متينًا متماسكًا كأنه بنيان مرصوص، يشد بعضه بعضًا، فمجتمع المؤمنين، مجتمع فيه تعاون وبذل وتضحية ومؤاثرة.

أخي إذا انطلقت إلى مساعدة أخيك، فهذا في علم الله قد تنجح وربما لا تنجح، إن نجحت فهذا هو الخير، وإن لم تنجح فهذا هو الخير أيضًا، فإن أمر المؤمن كله له

obeikandi.com

خير، فأنت عليك أن تسعى، وليس عليك إدراك النجاح، فهـذا متروك لحكمة الله، ولعلمـه ولعدالته... فلا تضن على أخيك المسلم بأي شفاعة تقدر على الشفاعة فيها.

أما الذين يسعون في الشفاعة السيئة، ويعسرون على إخوانهم المسـلمين والمسـلمات. فوالله نخشى عليهم عواقب السـوء في الدنيـا والبرزخ والآخـرة، ونحب أن نكرر أن الآيات والأحاديث النبوية الشـريفة، التي تحث على الشـفاعة الحسـنة، وعلى فعل الخيـر للناس جميعًا كثيـرة، ولكننـا أحببنـا أن تكون رسـالة مختصـرة لندعو أنفسـنا جميعنـا لما يرضـي الله ربنا سـبحانه وتعالى من فعل الخيرات للناس جميعًا والابتعاد كل البعد عما يضر الناس أو يسـيء إليهم. أو يعسر الأمور عليهم، والله هو المعيـن والقـادر... إذا كان رسـولنا محمـد عليه أفضل الصلاة وأزكى وأتم التسليم يقول لأصحابه: «**إن الرجل ليسألني الشيء فأمنعه، كي تشفعوا فتؤجروا**».

وفي الختام أسـأل الله العلي الكبير أن يعيننا جميعًا على الشـفاعة الحسنة، والمسارعة إليها، وأن يجيرنا من كل شـفاعة سـيئة، فهـو سـبحانه وتعالى على كل شـيء قديـر، وبالإجابة جديـر، وما ذلك على ربنـا بعزيز، وإن الله لعلى كل شـيء قدير، وصلى الله وسـلم على سيدنا محمد، وعلى إخوانه النبيين والمرسلين، وآله وأصحابه وأزواجه الطاهـرات أمهات المؤمنيـن وذرياته أجمعين إلى يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

obeikandl.com